الاستشراق الكولونيالي وموقفه من الجهود الموريتانية في الدعوة إلى الإسلام في السودان الغربي (بول مارتي أنموذجًا)

Colonial Orientalism and Its Stance Towards Mauritanian Efforts in Propagating Islam in West Sudan (Paul Marty as a Case Study)

د/ المهدي محي الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Mehdy.rim@gmail.com

تاريخ الارسال: 13-1-2024 تاريخ النشر: 25- 5- 2024

الملخص:

جاء مقال "الاستشراق الكولونيالي وموقفه من الدعوة إلى الإسلام في غرب إفريقيا بول مارتي أنموذجًا" في محاور عديدة، بحيث تناول المحور الأوَّل حياة المستشرق الفرنسي بول مارتي وأبرز جهوده العلمية، وفي المحور الثاني أبرز الجهود الدعوية الموريتانية في السنغال، وفي المحور الثالث أبرز الجهود الموريتانية لفي مالي، وفي المحور الثالث خاتمة تضمَّنت أبرز النتائج والتوصيات التي توصَّل لها الباحث.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق الكولونيالي، الدعوة الإسلامية، موريتانيا، مالي، السنغال، بول مارتي.

Abstract:

This article, "Colonial Orientalism and Its Stance Towards the Propagation of Islam in West Africa: Paul Marty as a Case Study," presents its objectives, methodology, reasons for selection, and various focal points. The first section delves into the life of the French orientalist Paul Marty and highlights his scholarly contributions. The second section focuses on the Mauritanian efforts in propagating Islam in Senegal, while the third section looks at similar efforts in Mali. The conclusion encapsulates key findings and recommendations reached by the researcher.

The article illustrates Mauritanian endeavors in Islamic propagation and their impact on the populations of sub-Saharan Africa, shedding light on how these efforts contributed to the Islamization of the region.

Keywords: Colonial Orientalism, Islamic Propagation, Mauritania, Mali, Senegal, Paul Marty.

مقدِّمة:

ليس من المبالغة القول بأنَّ الإسلام في غرب إفريقيا قد نمى وانتشر على يدي مرابطي موريتانيا؛ الذين كان لهم قصب السبق في نشره عبر ربوع وأقاليم إفريقيا جنوب الصحراء، خصوصاً في الحقبة الاستعمارية (19 – 20م)، وذلك بفضل العلماء الذين كانوا بين من يتجوَّل فيها بحثاً عن نشر العلم والدعوة إلى الله، وبين من كانوا يشتغلون بالتجارة ونحوها، ومن خلال ذلك يقومون بتعليم فروض الإسلام بعد أن اندمجوا في المجتمعات الإفريقية تماماً مثل القبائل الهوساوية التي عملت على نشر الإسلام في وسط وشرق إفريقيا، وكان لهذا الاندماج أثره البالغ على مسيرة الدعوة الإسلامية، وهو الشيء الذي عجز المبشِّرون الأوروبيون عن تحقيقه[1]. وقد لفت الأثر الدعوي الموريتاني في السودان الغربي انتباه المستشرق والإداري الفرنسي بول مارتي، فكتب عن ذلك.

ويهدف هذا المقال إلى بيان الأثر الدعوي للشخصيات الموريتانية في السودان الغربي (مالي والسنغال)، ويعتمد أساسًا على كتابات المستشرق الفرنسي بول مارتي، وسبب اختياره الرغبة في بيان الدور الريادي للعلماء الموريتانيين في منطقة جنوب الصحراء، وأمَّا الدراسات السابقة فأبرزها **(الرؤية الاستشراقية للإسلام والمجتمع الموريتاني عند بول مارتي)**، وهي أطروحة للدكتوراه للباحث، ويمكن تقسيم المقال إلى المحاور الآتية:

المحور الأوَّل: التعريف بالمستشرق الفرنسي بول مارتي.

المحور الثاني: الجهود الدعوية الموريتانية في السنغال وموقف بول مارتي منها.

المحور الثالث: الجهود الدعوية الموريتانية في مالي وموقف بول مارتي منها.

ويعتمد المقال المنهج التاريخي التحليلي، وذلك عبر عرض آراء المستشرق بول مارتي من مصادرها الأصلية، ثم تحليلها ونقدها.

1 – التعريف بالمستشرق الفرنسي بول مارتي.

ارتبط اسم المستشرق بول مارتي ارتباطًا وثيقًا بالمؤسَّسة العسكرية الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث صقل تجربته العملية في الجيش الفرنسي، وتفتَّقت موهبته الاستشراقية على يد مختلف المستشرقين الفرنسيين العاملين في الجزائر إلى أن استقلَّ بذاته،

وأصبح يمثِّل مكانة مرموقة في الدراسات الاستشراقية. وفي الآن ذاته ترقى بين مختلف الرتب والمناصب العسكرية والأمنية الكولونيالية، ويمكن التعريف به من خلال الآتي:

1 – 1 – مولد بول مارتي ونشأته:

ولد المستشرق بول مارتي: 07/06/ 1882م، في منطقة بوفاريك الجزائرية؛ من أسرة ريفية بسيطة، تنحدر من منطقة الألب الفرنسية، وكان مسيحيًا كاثوليكيًا، وعاش حياته العلمية والسياسية بين دول شمال وغرب إفريقيا، وأمضى سنواته الأولى في الجزائر، ثمَّ انتقل إلى المغرب وعمل فيها فترة من الزمن تحت مظلَّة الاحتلال الفرنسي، ثمَّ انتُدب للعمل كمندوب إداري في موريتانيا والسنغال، وقدَّم دراسات هامة عن مختلف مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، شملت المناطق الحافَّة بين موريتانيا ومالي والجزائر وبوركينا فاسو، كما شملت غينيا كوناكري، ومالي، والنيجر، وبنين، ونيجيريا، والتشاد، وساحل العاج، دارسًا تفاصيل حياة المسلمين، وعلاقتهم فيما بينهم وبين غيرهم من أبناء المنطقة الوثنية، وعلاقاتهم مع الاحتلال الفرنسي[2].

وفي فترة إقامته في الجزائر اشتغل مترجمًا لقوات الاحتلال الفرنسي، ورافق دومينيك لوسياني[3]، في عملياته العسكرية أثناء ثورة عين التركي سنة: 1901م، ضدَّ الاحتلال الفرنسي، حيث قام بقمع الجزائريين القاطنين في هذه المنطقة بلا رحمة، ووصفه بول مارتي بأنَّه كان يعمل على تقريب الأهالي من الفرنسيين[4].

وقد خدم بول مارتي في جيش الاحتلال الفرنسي، وانتهى به مشواره العسكري برتبة مقدَّم، وفي عام 1912م ابتعث للعمل الحكومي والإداري في السنغال، (منطلق الاحتلال الفرنسي لموريتانيا)، وفي عام 1913م، تولى منصب رئيس شؤون مسلمي فرنسا في غرب إفريقيا، كما تولَّى قيادة الاستخبارات الفرنسية في إفريقيا الغربية من سنة: 1916م وحتى 1921م[5]، الأمر الذي دفعه لدراسة الإسلام لدى هذه الشعوب، وفي عام 1922م، ذهب إلى المغرب ليترأس كلِّية فاس الإسلامية، وفي عام 1935م، توجَّه إلى تونس، وبقي فيها يقدِّم محاضرات عن الإسلام للجالية الفرنسية من جنود ومترجمين وضباط حتى مرض وتوفي يوم: 03/11/ 1938م[6].

وكان بول مارتي في مطلع القرن الـ (20م)، يكتب سلسلة أبحاثه ومقالاته وينشرها في مجلَّة العالم الإسلامي الفرنسية (*Revue du Monde Musulman*)، التي كان يحرِّرها

مستشرقون كبار من أمثال لويس ماسينيون، وقد ترك مارتي مجموعة من المؤلَّفات التي أظهرت مكانته العلمية (الاستشراقية).

1 – 2 – حياة بول مارتي العملية في موريتانيا والسودان الغربي.

أظهرت أبحاث بول مارتي أنَّه عاش لسنوات طويلة في موريتانيا، وجالس الناس بمختلف انتماءاتهم العرقية والقبلية؛ وقام بإحصاء دقيق للقبائل بما فيها من الأسر والأفراد، وما تملك من موارد اقتصادية، ذاكراً سلالتها النسبية، مبيِّناً تاريخ العصبيات والحروب بين شعوب المنطقة، متحدِّثاً عن حياة الناس الدينية، وما يشغل بال العلماء ومشايخ الطرق الصوفية من هموم وطموحات، شاهداً على أغلب الاتفاقيات المبرمة بين الموريتانيين والقادة العسكريين الفرنسيين، وفي هذا الشأن يقول: **(لا أتصوِّر أنَّ هناك عملا أفضل من أن أقدِّم في النهاية توجيهات سياسية من أجل القبائل الصحراوية في منطقتي الساحل والحوض التي تهيَّأت لي بعد بضع جولات في هذه البلاد، وبالتنسيق مع الضباط والإداريين الأكثر كفاءة)**[7].

وظلَّ طوال فترة وجوده في موريتانيا يتنقَّل تحت الحماية الفرنسية، التي وفَّرت له كلَّ ما يخصُّ البحث العلمي الدقيق؛ من إحصائيات واتفاقيات ومعاهدات، كما حظي بتزكيات علمية من بعض العلماء الموريتانيين؛ من أهل الحظوة والجاه، وظلَّ يعرضها بين الناس، في مختلف الأقاليم الإفريقية التي تخضع للسلطة الروحية الموريتانية، وكانت هذه التزكيات من الشيخ سيديَّ بابه بن الشيخ سيدي محمد (ت:1924م)، حيث يقول في تزكيته الموجَّهة إلى قبائل السودان الفرنسي: **(من سيدي بن محمد بن سيدي إلى جميع الأصحاب والإخوان في بلاد السودان وغيرهم؛ سلام عليكم، فإنِّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد: فالمطلوب منكم في هذا الكتاب أنَّه كلَّما ورد جنابكم السيد الحاكم مارتي – حرسه الله – بلداً في أصحابنا اجتمعوا للسلام عليه، والإحسان والبرِّ والنصيحة، وعرَّفوه من ناحيتهم من أصحابنا، ولم يقصِّروا في هذا المقصد، فإنَّه مهم عندنا في جناب السيِّد – الفاضل – الساعي في مصالح المسلمين! المحبِّ لنا، الحبيب لنا المكرم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. 3 ذي الحجَّة، عام 1331هـ، عند بوتلميت، حرسه الله، آمين)**[8].

كما وجَّه الشيخ سيديَّ بتزكية أخرى إلى تلاميذه وأتباعه في مناطق غامبيا، يدعوهم فيها إلى ضرورة الترحيب بالمستشرق بول مارتي، ويحثُّهم على تسهيل مهمَّته، وفيها يقول: **(من**

سيدي بن محمد بن سيدي إلى من في سيج وبانجول من أصحابنا وإخواننا مثل: سيدي صار في سيج، ومثل: مبات كص وآدم في بانجول، سلام عليكم وعلى من معكم من الإخوان والأصحاب، أمَّا بعد: فإنَّ جناب السيد الحاكم مارتي – حرسه الله – يريد القدوم عليكم؛ لأمور مصلحية وسياسية، وهو الحبيب لنا، ساع في مصالحنا، ومصالح سائر المسلمين! فالمطلوب من أن تتلقوه بالإكرام والبرِّ والنصيحة والمحبَّة، وتجمعوا من في بلدكم من أصحابنا للسلام والإحسان والبرِّ، وتُعرِّفوه بأصحابنا هنالك، ونسلِّم أيضاً على الحاج كحال سيد في بقراج، ونأمره بمثل هذا، وكذا السيد فوديه هري في صاندنييري ونحوه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. 23 ذي الحجة، عام 1331هـ. عند بوتلميت، حرسه الله تعالى، آمين)[9]. وكانت هذه الرسائل بمنزلة بطاقة عبور، إذ خوَّلت للمستشرق بول مارتي كثيرًا من المهام، وجعلت الناس يفتحون له صدورهم، ويبوحون له بأسرارهم، ثقة منهم بمن قام بتزكيته.

وكان المستشرق بول مارتي يعمل ضمن جوقة الاحتلال الفرنسي في شمال وغرب إفريقيا، وكان دوره يرتكز في قطاع (الاستعلامات/ الاستخبارات)، بحيث كان يقدِّم المعلومات التفصيلية عن كلِّ فرد احتاجت القيادة العسكرية إلى معرفته، بحكم معرفته الدقيقة بموريتانيا، وأسهم بشكل كبير في تذليل الصعاب أمام الفرنسيين في المنطقة، وفي هذا يقول: **(سيكون على قواد الدوائر العسكرية والمندوبين السامين، يوجِّههم هذا الخيط الذي لم يكن موجوداً حتى هذه اللحظة، واجب أسهل من الآن فصاعداً؛ يتمثَّل في متابعة هذا البحث بعناية، وتقديم مساهماتهم في دراسة عنصر من العناصر الأساسية في سياستنا الإسلامية في إفريقيا السوداء)**[10].

أما مكانته في الاستشراق فإنه في المعلومات التفصيلية الدقيقة عن الأفراد والقبائل لا يقدِّم رأيه (سلبا أو إيجابا)، وإنما يسرد الوقائع والأحداث وفق مشاهداته ورواياته الشفهية، والتي لا تختلف في الأغلب عن الروايات الموريتانية الأخرى، لكنَّه أحياناً تغلب عاطفته عقله، وتطغى عليه شخصيته الاستعمارية، وينسى مكانته العلمية، لذا كثيراً ما صبَّ جام غضبه على بعض الأفراد، وبعض القبائل والمجموعات الموريتانية؛ التي لم تشارك في مشروع فرنسا الاستعماري، أو كانت معادية لها، ومن الأمثلة على هذا قوله: **(وقد أصبح هؤلاء المغلوبين على أمرهم، بفعل انقلاب عجيب للأوضاع – بعد أن تمَّ سحقهم في نهاية الأمر في حرب**

شر ببَّه[11]، في القرن السابع عشر، إجبارهم على دفع الجزية، ودفعهم إلى الصلاة والدراسة والثروة الحيوانية – الممثِّلين الرسميين للعلوم العربية، والحضارة الإسلامية، والشريعة المحمدية. ومع مرور الزمن نشأت بعض التحالفات بين هؤلاء الصنهاجيين؛ الذين يشعرون بالخزي من أصلهم! وبين حسَّان، الفخورين بدمهم العربي)[12].

وقد كتب بول مارتي مجموعة من الدراسات تناول فيها دراسات حول الإسلام وقبائل السودان في غرب إفريقيا، وبخاصَّة الحياة الروحية والاجتماعية في: (السنغال، ومالي، وبركينا فاسو، وساحل العاج، والنيجر، وبعض أجزاء موريتانيا)، وذلك يشمل الآتي:

المجلَّد الأوَّل: دراسات حول الإسلام وقبائل السودان: (كنتة الشرقيون، البرابيش، إگلاد)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1920م في باريس، وقد تحدَّث فيه عن قبيلة كنتة إضافة إلى مجموعة البرابيش[13]، وتاريخها وهجرتها في جنوب الصحراء، كما تحدَّث عن قادتها وزعمائها، ودورها في نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة، وكيف اكتسحت المنطقة، وأصبحت مجموعة مؤثِّرة في واقع المنطقة، السياسي، والاجتماعي، والثقافي[14].

كما تحدَّث فيه عن مجموعة إگلاد[15]، وشمل تاريخ هذه المجموعة في الصحراء، وحاول أن يربط كثيرًا من العادات والتقاليد لدى مجتمع الطوارق بالموروث الديني اليهودي. ثم بسط الحديث عن الثقافة الإسلامية لدى مجموعة إگلاد، وحاول التقليل من أهمية الثقافة الإسلامية لدى هذا المجتمع، ووصف كيفية أداء الصلوات، والمساجد، والحلقات والمدارس القرآنية، كما تحدَّث عن أبرز الشخصيات العلمية داخل هذا المجتمع[16].

المجلَّد الثاني: دراسات حول الإسلام وقبائل السودان: (منطقة تمبكتو، إسلام السونغاي، چنى ماسنة وأتباعها، وإسلام الفلان)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1920م في باريس، وعدد صفحاته 335 صفحة، وهو غير مترجم، وقد قسَّمه إلى أقسام، وتحت كلِّ قسم عدَّة فصول، وتدور هذه الفصول حول الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في منطقة تمبكتو والأقاليم المجاورة لها في مالي، والحياة الدينية في قبائل السونغاي، والفلان، ومجموعات ماسنة. وشمل ذلك تاريخ الإسلام في تمبكتو، والحياة الدينية والعلمية في مسجدها (الكبير)، هذا بالإضافة إلى باقي المساجد التي تحدَّث عنها الرحالة الفرنسيون، كما تحدَّث بول مارتي عن الدور الذي لعبه علماء تمبكتو في نشر الثقافة الإسلامية، وتاريخ الإمامة والخطابة في

الأسر التمبكتوية[17]، معبِّراً عن مستوى الجاذبية الذي لعبته هذه المدينة في تاريخ الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، حيث تألَّقت عشرة قرون من الزمن. كما تحدَّث بول مارتي عن الغزو المغربي لمدينة تمبكتو، وما لحق ذلك من أحداث مؤلمة أثَّرت على الحياة الثقافية والاجتماعية، وعن الدور الثقافي الذي قام به قبائل الشرفاء في المنطقة، وأسهب في الحديث عن الأسر العلمية التي تولَّت مهمَّة القضاء في المنطقة[18].

وقد تحدَّث بول مارتي عن مجموعة (الفلان)، وأسهب في الحديث عن حياتهم الاجتماعية والثقافية، وعن النظام العرفي الذي يحكم هذا المجتمع، وقال إنه لا يختلف عن قوانين الشريعة الإسلامية التي تحكم المجتمعات العربية، خصوصاً قوانين الزواج، والرابطة الأبوية بين الآباء وأبنائهم، كما تحدَّث عن واقع التعليم الإسلامي في هذا المجتمع، وقال إنَّ التعليم الفرنسي يجب أن يواجه بقوَّة الثقافة الإسلامية في المنطقة[19].

المجلَّد الثالث: دراسات حول الإسلام وقبائل السودان: (منطقة خاي، بلاد البامبرا، ساحل نيورو)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1920م في باريس، وعدد صفحاته 296 صفحة، وهو كتاب غير مترجم. وقد قسَّمه مؤلِّفه إلى جملة من الأقسام، تناول فيها الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في مختلف المدن المالية، وعن أثر الإسلام في هذه المدن، حيث شمل الحديث عن دور الموريتانيين في نشر الإسلام، ودعوة الوثنيين إليه، وذلك عبر رحلاتهم وأسفارهم التجارية التي كانوا يمارسونها في المنطقة، وكيف أسهمت تلك القوافل التجارية في تعليم الناس مبادئ الإسلام، وتعليم القرآن الكريم، كما أسهب في الحديث عن الشخصيات العلمية والدعوية في المنطقة[20].

وقد ربط بول مارتي آثار الإسلام في القبائل الوثنية في مالي بعنصرين مهمَّين؛ أحدها نشره عن طريق قبائل كُنتة (الموريتانية)، وثانيها حملات الحاج عمر تال الفوتي (شمالي السنغال)، وعن طريق هذين العنصرين تمَّت محاصرة الوثنيين، ودخلوا في الإسلام بين من دخله رغبة منه، ومن دخله رهبة وعنوة' وقال إنَّهم خاضعون للقادرية الكنتية من جهة، والتجانية (الفوتية) من جهة أخرى، ثمَّ أسهب عن أبرز الشخصيات الصوفية في المنطقة[21].

هذا ولم يستطع بول مارتي التخلُّص من النزعة الاستشراقية (الفوقية)، التي تنظر إلى المجتمعات الإسلامية بنظرة دونية واحتقار، حيث قال إنَّ الزنوج (الأفارقة)، ما دفعهم إلى

الإسلام إلا الشعور بالهوان، وأنَّهم دخلوا فيه من أجل أن يصبحوا على قدم وساق مع العرب والبيض المجاورين لهم، وفي المقابل أراد التنقيص من الإسلام؛ وذلك بقوله إنَّه الدين الذي يغفر لك كلَّ ماضي الجرائم والجنايات حين تصبح فرداً من أتباعه، وأنَّ الأفارقة (الزنوج)، لكثرة ماضيهم في القتل والإجرام دخلوا في الإسلام حتى لا تتمَّ محاسبتهم على ماضيهم[22].

المجلَّد الرابع: دراسات حول الإسلام وقبائل البيضان (البراكنة)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1921م في باريس، وعدد صفحاته 398، وهو كتاب باللغة الفرنسية لم تتمَّ ترجمته إلى اللغة العربية بعد حسب علم الباحث، ومقسَّم إلى أقسام مختلفة، حيث تناول في القسم الأوَّل أصول القبائل (البيظانية) في منطقة البراكنة، وهجرات بني حسَّان للمنطقة، والحروب القبلية في المنطقة، وتاريخ إمارة البراكنة، وأهمَّ شخصياتها، وتاريخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة[23]. وتناول في القسم الثاني تاريخ مجموعة من القبائل في منطقة البراكنة، وتناول في القسم الثالث منطقة شمامة (منطقة ضفة نهر السنغال)، وتحدَّث عن عادات قبائل الزنوج في المنطقة، والعشائر البيظانية، وفي القسم الرابع: تناول العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في منطقة البراكنة، وأسهب الحديث في قضية لحراطين، عن تاريخ الاسترقاق في موريتانيا[24].

المجلَّد الخامس: دراسات عن الإسلام في ساحل العاج، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1922م في باريس، وعدد صفحاته في حدود 500، وهو كتاب باللغة الفرنسية لم تتمَّ ترجمته إلى اللغة العربية حسب علم الباحث، قسَّمه المؤلِّف إلى كتب، وفي كلِّ كتاب مجموعة من الفصول، تناول فيها ماضي وحاضر الإسلام، والعلاقات الاجتماعية والثقافية بين المسلمين والقبائل الوثنية في المنطقة، وأثر التجار (البيضان)، في الدعوة إلى الله في ساحل العاج[25]، هذا بالإضافة إلى ما يقوم به المسيحيون من تبشير، وكيف استطاعوا التوغُّل في المجتمع الإيفواري، كما درس بول مارتي ظاهرة انتشار السحر بين مختلف القبائل، وحاول أن يربط الشعوب الإفريقية بهذه الممارسات[26].

وقد ركَّز بول مارتي على القبائل الوثنية في ساحل العاج، وكان يصف هذه المجموعات القبلية بأنَّها متمرِّدة على الإسلام، ورافضة الدخول فيه، كما درس مجتمع الغابات في ساحل العاج، وتاريخ الوثنية والأصنام، كما تحدَّث عن تاريخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة، والتسهيلات التي كان الفرنسيون يقدِّمونها للمسلمين[27].

المجلَّد السادس: إمارة التـرارزة، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1919م، وعدد صفحاته 515، وهو كتاب تناول فيه حياة إمارة (الترارزة)، وهي إمارة قبلية في الجنوب الغربي الموريتاني، وهو كتاب غير مترجم إلى اللغة العربية، وقد قسَّم المؤلِّف كتابه إلى أقسام، تناول فيها أصول قبائل الإمارة، وصراعاتها الداخلية بينها وبين باقي مكوِّناتها الاجتماعية، ودراسة تفصيلية عن أبناء الإمارة، وعلاقاتها مع الاستعمار الفرنسي، ومعاهداتها مع الفرنسيين، وأبرز شخصياتها الدينية، حيث شمل ذلك أهمَّ الصراعات السياسية بين قبائل صنهاجة[28]، والقبائل الحسَّانية[29]، وكيف أثَّر الاحتلال الفرنسي في الصراعات الداخلية داخل الإمارة[30].

المجلَّد السابع: قبائل موريتانيا العليا، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1915م، في باريس، وعدد صفحاته 96، وهو كتاب تناول فيه حياة القبائل الموريتانية (المحورية) في الشمال الموريتاني وحتى الصحراء الغربية، من الناحية الدينية والسياسية، وعلاقتها بفرنسا. وقد مدح فيه جهود المستكشفين الفرنسيين، ودورهم المحوري في إخضاع المنطقة لنفوذ فرنسا[31]. وتمَّت ترجمته أخيرًا[32].

المجلَّد الثامن: دراسات عن الإسلام في السنغال، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1917م، في باريس، وعدد صفحاته 466، وهو كتاب غير مترجم، وقد قسَّمه إلى أقسام، تحدَّث فيه عن المذاهب والعقائد الدينية، بما في ذلك الاتجاهات المسيحية، كما تحدَّث عن المساجد ودور العبادة، والمحاظر (المدارس الأهلية ذات الطابع الموريتاني)، ومدارس أبناء الشيوخ (مدارس فرنسية)، والحياة الاجتماعية، وواقع الإسلام في المؤسَّسات الثقافية، والتواصل الثقافي بين الموريتانيين والسنغاليين من جهة، والمسيحيين والفرنسيين من جهة أخرى[33].

المجلَّد التاسع: دراسات عن الإسلام في داهومي (بنين)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1926م، في باريس، وعدد صفحاته في حدود 300، وهو كتاب غير مترجم، وقد قسَّمه إلى قسمين؛ أحدهما داهومي السفلى، والثاني داهومي العليا، وتحت كل منهما مجموعة من الفصول، تناول فيها واقع المجتمع من الناحية الإثنية والعرقية، ومكانة الإسلام في المجتمع الداهومي، والتوزيع السكاني في مختلف الأودية والمنحدرات، وأثر الأحكام الإسلامية في التقاليد والأعراف، كما تحدَّث عن مراكز نفوذ الاحتلال الفرنسي في المنطقة[34].

المجلَّد العاشر: الإسلام في غينيا (فوتا – جالو)، وقد صدر عن المؤلِّف سنة: 1921م، في باريس، وعدد صفحاته 588، وهو كتاب غير مترجم، وقد قسَّمه إلى أجزاء عديدة، تحدَّث فيهما عن جذور الإسلام في المنطقة، ورموز وشخصيات مختلف مناطق قبائل غينيا (كوناكري)، وغينيا بيساو، كما تحدَّث عن آثار الإسلام في هذه المناطق، ومظاهر التديُّن؛ من العقائد والعبادات، والأخلاق والمعاملات، ودور السلطات الفرنسية في المنطقة[35].

المجلَّد الحادي عشر: المدارس المرابطية في السنغال (مدارس سانتلويس)، وهو كتاب اشترك فيه بول مارتي مع جوليس سالانس، وقد صدر سنة: 1914م، في باريس، وعدد صفحاته 107، وهو كتاب غير مترجم، تناولا فيه واقع المدارس، وأساتذتها، وتوزيعها الجغرافي، وانتماؤها الديني، ورعاية الطلاب فيها، والمناهج الدراسية، والقيم الفكرية السائدة في المدارس[36].

المجلَّد الثاني عشر: الإسلام والقبائل المستعمرة في النيجر، صدر عن المؤلِّف في باريس سنة 1931م، تناول فيه ماضي وحاضر مستعمرة النيجر، وعن المذاهب والاتجاهات الدينية، والتنوُّع الاجتماعي والثقافي في المنطقة[37].

وكان بول مارتي يعلي مكانة يستحضر الصراع بين الإسلام والمسيحية، ويعلي من مكانة النصرانية، بل ويعتبرها مثله الأعلى، وذلك عائد إلى كونه كان كاثوليكيًا متعصِّبًا، ويرى أنَّ الإسلام إذا ما أريد له التقدُّم فعليه الاقتداء بها.

2 – الجهود الدعوية الموريتانية في السنغال وموقف بول مارتي منها:

لقد ارتبطت حياة كثير من الموريتانيين بالسنغال، بحكم تشابك العلاقات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وإخضاع الاستعمار الفرنسي الجزء الغربي والجنوبي الموريتاني لسيادته في السنغال، الأمر الذي انعكس على الحياة الثقافية بين البلدين، حيث كان العلماء الموريتانيون يقومون بجولات في السنغال، وكان الطلبة السنغاليون يقصدون موريتانيا لطلب للعلم، الأمر الذي أسهم في تعزيز الروابط الثقافية، مما انعكس على مسيرة الدعوة إلى الإسلام، والثقافة الإسلامية.

وقد تمثَّل هذا الأثر في تبعية كثير من القبائل والعوائل والأسر السنغالية للكثير من العلماء والشيوخ والقبائل الموريتانية، والشواهد والأمثلة التي استطرد فيها المستشرق بول مارتي

كثيرة، حيث يرى أنَّه من الصعب الفصل في تشابك العلاقات، ظهر هذا من خلال قوله: **(من الصعب الفصل بين نفوذ إيدوعلي ونفوذ طريقة الحاج عمر، ولا يميِّز الأهالي أنفسهم بينهما، إلا أنَّ إيدوعلي بحكم منزلتهم المتمثِّلة في بياض بشرتهم؛ وبحكم جيرتهم وعلاقاتهم اليومية، هم المسيِّرون الروحيون الحقيقيون)**[38].

ثمَّ إنَّ بول مارتي يقرِّر جاهدًا حصر النفوذ الموريتاني في السنغال كنفوذ صوفي خالص، وأنَّه لم تظهر إشارات تدلُّ على غير هذا، ولعلَّ السبب إغفاله لأيِّ جهد ثقافي ودعوي لا يتواءم مع الرؤية الاستشراقية في المنطقة، والتي عمل المستشرقون المتعصِّبون على غرارها، وذلك بكبت أيّ صوت فكري لا يخدم المشاريع الاستعمارية، وفي هذا الصدد يقول بول مارتي: **(ينتمي إلى تجانية إدوعلي في السنغال العديد من قرى التكرور ... عن طريق الشيخ أحمد فال، وبعض معلِّمي المدارس القرآنية)**[39]. بل إنَّ بول مارتي يذهب إلى أبعد من هذا، وذلك بمحاولته إضفاء صبغة الشرعية على الجهود الصوفية الموريتانية في غرب إفريقيا، وذلك بجعلها الميثاق الوطني لشعوب المنطقة، في قوله: **(كان من حسن حظ تجانية إدوعلي خاصَّة ذلك المصير الذي عرفته في الدول الإفريقية، بأن احتضنها الحاج عمر، ونمت – مع نجاحات ذلك الفاتح – وأصبحت على نحو مَّا بمثابة الميثاق الوطني للتكرور)**[40].

وقد رسم بول مارتي صورة مظلمة وسيِّئة عن بعض أبناء الشيخ محمد فاضل بن مامين (ت: 1869م)، في السنغال، حيث قال إنَّهم مجرَّد جامعي هدايا وهبات ومانحي (البركة)، ومزوِّري أختام، وعبر عن هذا في أبناء الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ محمد فاضل بقوله: **(وقد استعملهما سعد بوه في البداية في جمع الهدايا باسمه، ولكن بما أنَّهما استغلا وضعهما أصبح يشتكي منهما. وتمَّ فتح تحقيق في القضية؛ فاعترف فضيلي أنَّه زوَّر في كولخ لدى صانع تقليدي من أهل المدينة ختماً شبيهاً بختم الشيخ، واستعمله لجمع بعض الهدايا ومن بعض البركة)**[41]. وليس هذا الأمر على إطلاقه، فهناك كثير من أبناء الشيخ محمد فاضل، كانوا يقومون بالدعوة إلى الله في السنغال وغيرها، ولم يؤثر عنهم أيَّ سلوك يؤثِّر على نهجهما الدعوي وإن كان بول مارتي يحرص كلَّ الحرص على إسقاط بعض القضايا على أخرى؛ من أجل تشويه مسار الدعوة الإسلامية. ومن الأمثلة قوله في الشيخ سعد بوه: **(يمتدُّ نفوذ الشيخ سعد بوه الضعيف شمال النهر خاصَّة إلى المناطق الإفريقية في السنغال وغينيا، وهو يعتمد**

على شهرته في إظهار الكرامات من كلِّ نوع؛ أكثر من اعتماده على علمه وورعه)[42]. ولكن مع هذا لا يمنع من القول بأنَّ الشيخ سعد بوه دخل على يده كثير من الوثنيين الإسلام، حيث سافر إلى أحد الملوك الوثنيين في إفريقيا الغربية، ومن عُبَّاد الأصنام، وكان معظَّماً مطاعاً، فحاوره حتى أقنعه بالأدلَّة العقلية على ضرورة وحدانية الله والكفر بما سواه، ومن ثَمَّ اقتنع الرجل، قال بول مارتي: **(وبعد هذا اللقاء تلقى الزعيم تعاليم الشيخ، وخلع ملابسه الفخمة، واعتنق الإسلام هو وقومه جميعاً)**[43].

ومن بين الشخصيات العلمية الموريتانية هامة، وذات الأثر الكبير ليس في موريتانيا فحسب، بل في مختلف مناطق غرب إفريقيا؛ وخصوصاً السنغال الشيخ سيديَّ بابه بن الشيخ سيدي محمد، الذي كان أثره العلمي والثقافي كبيرا، بحيث شمل مختلف المدن والقرى السنغالية، قال بول مارتي: **(قامت سلطة الشيخ سيديَّ الروحية والزمنية في الجزء الواقع على الضفة اليمنى لنهر السنغال من منطقة شمامة .. منذ أمد طويل؛ فهو سيِّد العديد من القرى السوداء)**[44]. وقد ورث الشيخ سيديَّ بابه مكانة جدِّه الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة الانتاشائي (ت: 1868م)، الذي يعود له الفضل في إسلام أوائل مسلمي دكار (عاصمة السنغال اليوم)[45].

وكان تلاميذ الشيخ سيديَّ بابه (الحفيد) من أكثر الناس حماساً لنشر الإسلام في المنطقة – في مختلف أقاليم إفريقيا السوداء، كما سرد بول مارتي مختلف المدن والقرى (السنغالية والمالية)، التي ظهر فيها تأثير الشيخ سيديَّ الدعوي، المتمثِّل في تعليم مبادئ الإسلام، ونشر المدارس القرآنية عن طريق أبناء عمومته وتلاميذه الذين أوفدهم لهذه المهمَّة، وقال: **(لا يكتمل جدول النفوذ الديني للشيخ سيديَّ في فوتا إذا لم نشر إلى عدد كبير من معلِّمي المدارس البيظانية الصغار؛ المنحدرين من أولاد ابييري، يدرِّسون القرآن لأطفال الزنوج على ضفاف نهر السنغال، ووراء ذلك بعيداً في الداخل، وهم أعوان أقوياء لنشر الإسلام)**[46]. وأضاف: **(يملك الشيخ سيديَّ في المحافظات الواقعة جنوب نهر السنغال عديد من المستعمرات والأتباع)**.

وكان الشيخ سيديَّ بابه يجنِّد التجار والصيادين السنغاليين، ويدعوهم إلى نشر الإسلام في المناطق الوثنية، الأمر الذي أثَّر بشكل كبير في المجتمع السنغالي، قال بول مارتي:

(يشكِّل هؤلاء التجار – الحضريون – المحتكين بالثقافة والناخبين السياسيين، نخبة صغيرة في المجتمع الزنجي، لكنَّها نشرت بمهارة – اسمها وطريقتها – على كامل المحطَّات النهرية والبحرية، أو على طريق السكك الحديدية في السنغال. أما الطلاب الآخرون فهم زنوج محلِّيون انخرطوا في قضيته نتيجة للدعوة التي قام بها دعاته)[47].

ولا يقف الأثر الثقافي والدعوي للشيخ سيديَّ بابه في السنغال وحدها، بل إنَّ جهوده شملت غامبيا (المستعمرة البريطانية)، حيث كان له أتباع كثر يقومون بالتعليم في المدارس القرآنية، وله أتباع – أيضًا – في غينيا (المستعمرة الفرنسية)، وكان تلاميذه يقومون بالدعوة إلى الله سراً في هذه المنطقة، التي حظر الفرنسيون القيام فيها بأيِّ نشاط ثقافي أو دعوي، الأمر قاد إلى محاكمة بعض تلاميذ الشيخ سيديَّ بابه من قبل محاكم أهلية خاضعة للنفوذ الفرنسي[48]. وأخيراً من الأهمِّية بمكان التنويه بعشرات الشخصيات والقبائل الموريتانية المقيمة في شمال وشرق السنغال، والتي كان لها دورها الثقافي الكبير على هذا المجتمع، وقد ترجم بول مارتي للعديد من هذه الشخصيات في كتابه: **(إمارة التورارزة)**، ونوَّه على وجه الخصوص بحياتهم الدينية كمرشدين ودعاة، استطاعوا إيقاف الزحف المسيحي في المنطقة، وحمل الناس على التشبُّث بالثقافة الإسلامية[49].

3 – الجهود الدعوية الموريتانية في مالي:

لا يقلُّ ارتباط الموريتانيين بجمهورية مالي عن مدى ارتباطهم بالسنغال، بحكم أنَّ الاستعمار الفرنسي قد أخضع المناطق الشرقية للتبعية السياسية الاستعمارية في مالي، والمناطق الغربية للسلطة السياسية الاستعمارية في السنغال، وأصبح الموريتانيون مجبرون على التواصل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي مع هذه الجمهورية؛ التي تدخل استعمارياً ضمن نطاق السودان الغربي (الفرنسي)، الأمر الذي انعكس إيجاباً على مسيرة الدعوة الإسلامية، إذ أصبح الموريتانيون يقومون بالدعوة إلى الله في المناطق الوثنية في هذه الربوع.

وقد ظهر هذا الأثر تارة على جهود فردية يقوم بها بعض العلماء، وتارة على شكل تواصل اجتماعي مع القبائل والإثنيات المالية، بل إنَّ كثيرًا من القبائل المالية اتخذت لنفسها مجموعة قبلية موريتانية؛ تكون مرجعاً لها في الأمور الدينية، ومن النماذج الجهود العلمية التي كانت تقوم بها أسرة الحاج الحسن بن آغبدِّي الزيدي (ت: 1711م)، والتي كان لها نفوذها

وتأثيرها الثقافي على كثير من قبائل الطوارق، والزنوج الماليين منذ نهاية القرن 11هـ/17م، قال بول مارتي: **(ولأهل الحاج الحسن اليوم علاقات مستمرَّة وودِّية مع إفلان لمباره، حيث يصطحبونهم في ترحالهم، ويرتبطون معهم بزيجات عديدة .. وهذا الفخذ يتمتَّع بنوع من النفوذ الديني في عصر مؤسِّسيه من الرجال الصالحين)**[50].

ولعلَّ أهمَّ شخصية موريتانية كان لها أثرها البالغ في كلِّ الأقطار السوداء في إفريقيا الغربية إبان القرنين 12 – 13هـ/18–19م، شخصية الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت: 1811م)، الذي قال عنه بول مارتي: **(كان قبل كلِّ شيء مصلحاً، وفاتحاً إسلامياً حقيقياً، اجتذب علمه إلى خيمته زوايا البيضان، الذين منهم انتشر دُعاته في كلِّ الأقطار السوداء في إفريقيا الغربية، وبالتالي تدين لهم الصحراء الكبرى وبلاد السودان في الوقت الحالي؛ باعتناقها الإسلام مؤخَّراً)**[51]. هذا إذا عُلم أنَّ الشيخ سيدي المختار الكنتي كان تأثيره الأكبر على تمبكتو وضواحيها، وكان تأثير أبنائه يمتدُّ وحتى نيجيريا، حيث جعل أمراء البورنو من القبائل الهوساوية ووزرائهم؛ وحاشيتهم تحت سلطته، لا سيَّما الشيخ عثمان دان فودي، وابنه محمد بلُّو، الذين كانوا على طريقته[52]، وهكذا مختلف العشائر الطارقية، ومسلمي بانبارا، والفلان، وجميع الإمارات الحسانية في أقاليم البيظان[53].

ويزعم بول مارتي في دراساته حول الإسلام في **(منطقة خاي، بلاد البامبرا، ساحل نيورو)**، أنَّ قبائل البامبرا (الوثنيون السابقون)، في جنوب وغربي مالي تمَّت أسلمتهم عنوة من قبل قبائل السونوكية؛ المتأثِّرين بنفوذ مشايخ البيضان في المنطقة، ويقول إنَّ الحرب بين الإسلام والوثنية في المنطقة غير متكافئة، ذلك أنَّ الإسلام يمتلك دعاة يتميَّزون بالإخلاص والرغبة في دخول الوثنيين في الإسلام، وأنَّ المجتمع الوثني يتميَّز بالبساطة، ولا يمتلك أيَّ أدوات المقاومة، وأنَّ الحياد الفرنسي في المنطقة جعل المناطق الوثنية تتقلَّص لصالح الإسلام شيئًا فشيئًا، وأنَّ هذا الحياد جعل الإدارة الفرنسية تقف في صفِّ الإسلام من حيث لا تدري، وأنَّ مبتدئي الإسلام من البامبرا ضحايا نفوذ الفوتاكونتي[54]؛ الذين يسرحون في المنطقة[55].

وفي سياق إسلام قبائل البامبرا يتجاهل بول مارتي قضية مركزية أخرى في دراساته عن الإسلام في المجتمعات السودانية، وهي دور التجار المسلمين من قبائل البيظان، الذين كانوا يتوغَّلون في المناطق الجبلية داخل مناطق القبائل الوثنية، وفي ذات السياق كانوا يقومون

بالدعوة إلى الإسلام، هذا بالإضافة إلى ذكره لعشرات الأئمة في الجنوب الغربي المالي؛ الذين لهم ارتباطهم الوثيق مع شخصيات علمية موريتانية عديدة[56].

وأخيرًا فإنَّ النفوذ الثقافي والدعوي الموريتاني ليس محصورًا في مالي والسنغال، بل إنَّ آثارهم الثقافية والعلمية وصلت إلى ساحل العاج، وبوركينا فاسو، وغينيا كوناكري، ومختلف دول غرب إفريقيا، وهو الشي الذي أزعج الفرنسيين، واعتبروا ما يقومون به نوعاً من الهجوم السلمي على مستعمراتهم، قال بول مارتي: **(استفاد المشايخ الموريتانيون مباشرة، في هجومهم السلمي، وفتوحاتهم الدينية للعالم الزنجي، من التقدُّم الذي جاء به السلم الفرنسي، عن طريقة سرعة المواصلات وسهولتها)**[57].

صحيح أنَّ الإسلام في مالي قديم جداً، يعود لأكثر من عشرة قرون من الزمن، وقامت هناك إحدى أبرز معالم الحضارة الإسلامية، وظهرت حركة علمية وفكرية كبيرة كان لها أثرها البالغ في شعوب المنطقة شرقاً وغرباً، ولكن مع هذا كلِّه كان الإسلام يرتكز في الشمال المالي، وبقيت مناطق الجنوب الغربي بعيدة عن الإسلام، حيث القبائل الوثنية تمارس طقوسها وحياتها الخاصَّة، ولهذا من غير المستغرب إشارة بول مارتي إلى الصراع بين الإسلام والوثنية في المنطقة، بل إنَّ الوثنية ما زالت منتشرة إلى اليوم في المناطق الحدودية الحافَّة بين مالي وساحل العاج، والإسلام الذي خالط تلك الشعوب كان عن طريق التجار من قبائل السونوكية والبيظان على حد سواء، بالإضافة إلى الجهود الدعوية لقبائل السونغاي.

ثمَّ إنَّ ارتباط الموريتانيين بالمناطق الوثنية والمناطق المحاذية لها ليس بالأمر الجديد، فقد أشار بول مارتي إلى نفوذ الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة، في منطقة (*Khasso*)، على الضفة اليسرى من نهر السنغال في مالي، وسمِّيت عاصمتها حينها باسم **(المدينة المنوَّرة)**، وتأسَّست هذه العاصمة الإسلامية سنة: 1796م، وسقطت في يد الاستعمار الفرنسي سنة: 1857م[58]. وهكذا كانت هناك شخصيات عديدة من المناطق الحدودية الحافَّة بين مالي وموريتانيا على ارتباط وثيق من الناحية العلمية والدينية، ومن بين هؤلاء الشيخ محمد لمين درامي[59]، الذي كان مرتبطاً بمنطقة گيدي ماغا جنوب شرقي موريتانيا، وكان هذا الرجل على قدر كبير من الاهتمام بالإسلام، حيث وقف ضدَّ الاستعمار الفرنسي، وأعلن الجهاد بعد رحلته

إلى المشرق للحج، وبايعته شخصيات مؤثِّرة على ذلك، وبعد سنوات من قتال الفرنسيين تمَّ أسره وإعدامه سنة: 1887م، وقد انزعج منه بول مارتي ووصف بالمحرِّض[60].

أمور وأخرى تُبرز المكانة العلمية الكبيرة التي كانت للعلماء الموريتانيين في جمهورية مالي، والذين يرجع لهم الفضل الكبير في أسلمة القبائل الوثنية فيها، هذا بالإضافة إلى الجهود الدعوية الأخرى في تثبيت الإسلام في المنطقة، عبر نشر العلم والدعوة والخطابة.

4 – الخاتمة:

بعد استعراضنا للجهود الدعوية الموريتانية في غرب إفريقيا، انطلاقًا مما رصده بول مارتي في كتاباته يمكن استنتاج موقف الاستشراق الكولونيالي في الآتي:

1- عمق العلاقة بين أقطاب الصوفية في موريتانيا مع الصوفية في السنغال، وذلك من خلال علاقة العلويين بالزعيم السنغال الحاج عمر تال (ت: 1864م)، بحيث كان بينهما تخادم وتبادل مصالح في المنطقة.

2- أنَّ الشيوخ الموريتانيين ما هم إلا جامعي هبات وصدقات وأعطيات في السنغال، وأنَّ بعضهم أصبح يوزِّع مختلف الأوراد الصوفية لمصالحة شخصية.

3- أنَّ الموريتانيين أسهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية في مختلف أقاليم غرب إفريقيا، وكذلك مناطق عديدة من الجنوب والساحل الصحراوي، من خلال الدعوة إلى الله Ψ بالحكمة والموعظة الحسنة.

4- أنَّ الأثر الثقافي الموريتاني في مختلف مناطق غرب إفريقيا انتشر عبر التجار، والأئمَّة وطلبة العلم وغيرهم من الذين يفدون إلى موريتانيا أو عبر الأسفار والرحلات التي يقوم بها بعض الموريتانيين لممارسة أنشطة مختلفة.

5- أنَّ الاحتلال الفرنسي أسهم بشكل أو بآخر في تسهيل مهام بعض حلفائه الموريتانيين، خصوصاً في مناطق المجتمعات الوثنية في إفريقيا جنوب الصحراء، وأنَّ هذا الأمر أضرَّ بسياسة فرنسا في المنطقة.

6- أغفل بول مارتي الجهود الدعوية التي كان يمارسها علماء غير متصوِّفة في مختلف مناطق غرب إفريقيا، واهتمَّ بالأثر الثقافي للشخصيات الصوفية.

هذا ويوصي الباحث بضرورة تعميق الدراسة عن الرؤية الاستشراقية لمسلمي غرب إفريقيا والعمل على تعزيز الانتماء الإسلامي في المنطقة، والسعي في ترجمة مختلف الأعمال التي قدّمها المستشرق بول مارتي.

5 – الهوامش:

1. ألفريد لوشاتليه، ترجمة: مُساعد اليافي، مُحبُّ الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامي، منشورات العصر الحديث، الطبعة الثانية، 1387هـ، (ص، 172).
2. François Pouillon, Dictionnaire des orientalistes de langue française, Paris, IISMM–Karthala, 2008, (P694).
3. مستشرق فرنسي، كان وراء عدد من الأنشطة التي قام بها المستشرقون في الجزائر، ذلك أنَّه كان مديرا للشؤون الأهلية ومستشارا للحكومة العامة الفرنسية في الجزائر أكثر من عشرين سنة، وقام بترجمة عديد من المتون الشرعية؛ مثل العقائد السنوسية، وغيرها. ينظر: توارقية عقيلة، الاستشراق الفرنسي في الجزائر إبان الاستعمار، بحث ماستر في الأدب، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، العام الجامعي: 2017–2018م، (ص، 81).
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، طبع سنة: 2007م، (72/6).
5. محمد سعيد همَّدِّي، موريتانيا وأوروبا عبر التاريخ، مدينة أطار، سنة:1423هـ/2002م، (ص، 62).
6. François Pouillon, Dictionnaire des orientalistes de langue française (P694).
7. بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصَّة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الطبعة الأولى، سنة: 2001م، (ص، 315).
8. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا، (الشيخ سيديَّ، الفاضلية، إدوعلي)، ترجمة: البكاي ولد عبد المالك، صدر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تونس، الطبعة الأولى، سنة: 2010م، (ص، 126).
9. المصدر السابق (ص، 126).
10. المصدر السابق (ص، 222).
11. حرب قامت بين قبائل تاشمشه والمغافرة، وكان سببها امتناع المغافرة عن تأدية زكاة أموالهم لأحد شيوخ الزوايا وهو أوبك بن أبهم الديماني، وقال المغافرة إنَّهم سيدفعونها لغيره، انطلاقًا من فتاوى فقهائهم، فأفتى بكفرهم، وأمر الناس بقتالهم، مما أحدث مقتلة عظيمة في صفوف الزوايا، وهزيمتهم شرَّ هزيمة. ينظر: المختار ولد حامد، حياة موريتانيا السياسية، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 2000م، (ص، 210).
12. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا (ص، 256).
13. إحدى قبائل حسان، وتضمُّ أولاد عبد الرحمن، وأولاد عمران، والمحافيظ، وأولاد إعيش، وأولاد إدريس، وأولاد اخصيب، وأولاد غنام، وأولاد عكرمة، وأولاد سعيد، وأولاد عامر، وأولاد أحمد، والمعاتيك، وغيرهم كثير، وينتشرون في موريتانيا وشمال مالي. ينظر: المختار بن حامد، حياة موريتانيا الجغرافية، تقديم عضو اللجنة العلمية لنشر الموسوعة، الدكتور أحمد ولد الحسن، دار الغرب الإسلامي، (ص، 85).

14. Paul Marty, Études sur l'Islam et les tribus du Soudan Les Kounta de l'Est. Les Berabich. Les Iguellad, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1920, (p: 177).

15. قبيلة من قبائل الطوارق، وهي تنتمي إلى طبقة الفقهاء (إنسلمن)، داخل المجتمع الطارقي، وكان لها الماضي الجميل في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، وكان لها ارتباطها التاريخي مع مجتمع البيظان الموريتاني. ينظر: محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات شؤون الصحراء، الطبعة الثانية، 1989م (ص، 68).

16. Paul Marty, Études sur l'Islam et les tribus du Soudan Les Kounta de l'Est. Les Berabich. Les Iguellad (p. 320).

17. Paul Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Tombouctou, Islam Songaï, Djenné, le Macina et dépendances, Islam Peul, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1920, (p. 65).

18. Source Precedente (P, 12).

19. Source Precedente (P,264)

20. Paul Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Kayes. Le pays Bambara. Le Sahel de Nioro, (p. 5).

21. Source Precedente(P, 47).

22. Source Precedente(P, 176).

23. Paul Marty, Études sur l'Islam et les tribus maures: les Brakna, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition: 1921, (p.3).

24. Source Precedente(P, 337).

25. Paul Marty, Études sur l'Islam en Côte d'Ivoire, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1922, (p.7).

26. Source Precedente(P, 8).

27. Source Precedente(P, 48).

28. إحدى القبائل العربية الحميرية التي هاجرت إلى بلاد المغرب من اليمن في حقب متفاوتة، واستوطنت في قبائل البربر. ينظر: عريب بن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1387هـ (442/1)، ينظر: أبو المنذر الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق، ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، سنة: 1408 هـ /1988م، (548/2)، وفروعها في موريتانيا إگدالة، ومسوفة، ولمتونة، وتتوزَّع الأخيرة إلى: (تجكانت، ومسومة، وإدوريش، وإدوبج، وإدوعيش، ولمتونة، وتندغه، وإدكوجي، وإيجيجبه). محمد الإغاثة بن الشيخ الشنقيطي، قواطع البراهين على حميرية قادة المرابطين، البيّنة للطباعة والنشر، (ص،143).

29. بطن من العرب المعقل، المنحدرين من كعب بن الحارث، من قبائل مذحج اليمانية، وكان وصولهم لجنوب الصحراء مع الهجرة الهلالية إلى شمال إفريقيا في القرن الخامس الهجري، ثمَّ عمروا صحاري المغرب الأقصى

وتغلَّبوا على فيافيه. ينظر: حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (ص، 81).

30. Paul Marty, L'Émirat des Trarzas, (p. 145).

31. Paul Marty, Les tribus de la Haute Mauritanie, Paris, Comité de l'Afrique française: 1915, (p.7).

32. تمَّت ترجمته أخيراً سنة: 2020م من قبل مجموعة من الباحثين المغاربة، وتضمُّ: (محمد أنوزلا، والمهدي الهامل، وسويلم بوغدا، ومحمد شرايمي)، وطبع من قبل دار مقاربات في فاس المغربية.

33. Paul Marty, Études sur l'Islam au Sénéga, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1917, (p.3).

34. Paul Marty, Etudes sur l'Islam au Dahomey, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1926, (p. 19).

35. Paul Marty, L'Islam en Guinée: Fouta Diallon, Ernest Leroux, Paris: 1921, (p,15).

36. Paul Marty, Les écoles maraboutiques du Sénégal, Jules Salens, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1914, (p. 20).

37. تمَّت ترجمته من قبل محمد عبد السلام العلاقي، وطُبع ضمن كتاب: (دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء بالقارَّة الإفريقية)، من جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، الطبعة الأولى، سنة: 2001م

38. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا، (ص، 248).

39. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا (ص، 249).

40. المصدر السابق (ص، 250).

41. المصدر السابق (ص، 169).

42. المصدر السابق (ص، 180).

43. المصدر السابق (ص، 182).

44. المصدر السابق (ص، 89).

45. المصدر السابق (ص، 91).

46. المصدر السابق (ص، 91).

47. المصدر السابق (ص، 96).

48. المصدر السابق (ص، 97).

49. Paul Marty, L'Émirat des Trarzas, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1919, (p. 269).

50. بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني (ص، 52).

51. بول مارتي، كُنتة الشرقيون، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، مكتبة زيد بن ثابت في سوريا سنة: 1985م، (ص، 39).

52. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة: 1435هـ/2014م، (ص، 64).
53. بول مارتي، كُنتة الشرقيون (ص، 27).
54. طبقة اجتماعية ظهرت في مالي تجمع بين فقهاء الفولان وفقهاء من قبائل البيظان، بحيث وقع بينهم تزاوج اجتماعي وثقافي، وأصبحوا يتولَّون الشؤون الدينية في المنطقة.
55. Paul Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Kayes. Le pays Bambara. Le Sahel de Nioro, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1920, (p. 3).
56. Référence Précédente (p. 6).
57. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا (ص، 355).
58. Paul Marty, (Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Kayes. Le pays Bambara. Le Sahel de Nioro, (P, 12).
59. وُلد سنة: 1840م، في مدينة خاي بجمهورية مالي، وكان أحد قادة الجهاد ضدَّ الاحتلال الفرنسي في المنطقة الجامعة بين موريتانيا ومالي والسنغال، نشأ في بيئة علمية، حيث كان والده عالماً وقاضياً، قاد رحلة إلى الحجاز ومصر والقسطنطينية، وبعد عودته دخل في مواجهة مباشرة مع الاحتلال، وبعد سنوات تمَّ أسره وإعدامه سنة: 1887م. محمد المحجوب ولد بيه، موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط – موريتانيا، الطبعة الأولى، سنة: 2016م (ص، 184).
60. Paul Marty, (Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Kayes. Le pays Bambara. Le Sahel de Nioro, (P, 16).

6 – المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، طبع سنة: 2007م
2. أبو المنذر الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق، ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، سنة: 1408 هـ /1988م
3. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة: 1435هـ/2014م
4. ألفريد لوشاتليه، ترجمة: مُساعد اليافي، مُحبُّ الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامي، منشورات العصر الحديث، الطبعة الثانية، 1387هـ.
5. بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصَّة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الطبعة الأولى، سنة: 2001م

6. بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا، (الشيخ سيديَّ، الفاضلية، إدوعلي)، ترجمة: البكاي ولد عبد المالك، صدر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تونس، الطبعة الأولى، سنة: 2010م
7. بول مارتي، كُنتة الشرقيون، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، مكتبة زيد بن ثابت في سوريا سنة: 1985م
8. توارقية عقيلة، الاستشراق الفرنسي في الجزائر إبان الاستعمار، بحث ماستر في الأدب، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، العام الجامعي: 2017–2018م
9. حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
10. عريب بن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1387هـ
11. محمد الإغاثة بن الشيخ الشنقيطي، قواطع البراهين على حميرية قادة المرابطين، البيّنة للطباعة والنشر.
12. محمد المحجوب ولد بيه، موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط – موريتانيا، الطبعة الأولى، سنة: 2016م
13. محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات شؤون الصحراء، الطبعة الثانية، 1989م
14. محمد سعيد همَّدِّي، موريتانيا وأوروبا عبر التاريخ، مدينة أطار، سنة:1423هـ/2002م
15. المختار بن حامد، حياة موريتانيا الجغرافية، تقديم عضو اللجنة العلمية لنشر الموسوعة، الدكتور أحمد ولد الحسن، دار الغرب الإسلامي.
16. المختار ولد حامد، حياة موريتانيا السياسية، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 2000م

المصادر الأجنبية:

17. François Pouillon, Dictionnaire des orientalistes de langue française, Paris, IISMM-Karthala, 2008
18. Paul Marty, Etudes sur l'Islam au Dahomey, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1926
19. Paul Marty, Études sur l'Islam au Sénéga, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1917
20. Paul Marty, Études sur l'Islam en Côte d'Ivoire, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1922
21. Paul Marty, Études sur l'Islam et les tribus du Soudan Les Kounta de l'Est. Les Berabich. Les Iguellad, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1920
22. Paul Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Tombouctou, Islam Songaï, Djenné, le Macina et dépendances, Islam Peul, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1920

23. Paul Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan. La région de Kayes. Le pays Bambara. Le Sahel de Nioro, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition:1920
24. Paul Marty, Études sur l'Islam et les tribus maures: les Brakna, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition: 1921
25. Paul Marty, L'Émirat des Trarzas, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1919
26. Paul Marty, Les écoles maraboutiques du Sénégal, Jules Salens, Ernest Leroux, Paris, Date d'édition :1914
27. Paul Marty, Les tribus de la Haute Mauritanie, Paris, Comité de l'Afrique française: 1915
28. Paul Marty, L'Islam en Guinée: Fouta Diallon, Ernest Leroux, Paris: 1921